الخطب المنبرية

لفضيلة الشيخ الدكتور

محمد هشام طاهري

(حفظه الله تعالى)

خطبة الجمعة بعنوان

الاستغفار

بتاريخ/ ٨ ذو القعدة ١٤٤٤هـ الموافق/ ٢٨-٤-٢٠٢٣.

خطبة الجمعة

الاستغفار

الحمد لله العزيز الغفار أحمده سبحانه الغفور القهار وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وهو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعِ إلىٰ سبيل الهدىٰ والمذر من سُبل الردىٰ صل الله وسلم عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن بهديه أقتفىٰ.

أما بعد:

أوصيكم أيها المؤمنون ونفسي بتقوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ فإن الفوز في أن تتقوا وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تتفرقوا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨﴾ [الحديد: ٢٨]

أيها المسلمون:

إن المتأمل في حياة النبي ﷺ والناظر إلىٰ الآيات القرآنية ليجد للاستغفار مكانةً عظيمة ويعلم أن الاستغفار مرتبةٌ من مراتب العبودية لولا هذه المرتبة لأيس القانطون لولا هذه المرتبة لأيس المذنبون لولا هذه المرتبة لما كُمل الكاملون، الاستغفار معناه طلب المغفرة من العزيز الغفار وما من إنسانٍ إلا وهو خطاء إما

تقصيرًا في واجب أو فعلًا لمحرمٍ أو تركًا لما يجب قال الله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ [فاطر: ٣٢]

مسلمٌ لكنه ظالمٌ لنفسه وذلك بترك الواجبات أو بارتكاب المحرمات فماذا يفعل ليس له بابٌ يلجئ إليه إذا قصر في واجبٍ أو أرتكب محرمًا إلا التوبة وفي حديث أنس قال ﷺ: كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون" [أخرجه أحمد والترمذي وغيرهما وحسنه الألباني]

وقد أمر الله جل في علاه نبيه محمد ﷺ بالاستغفار في آخر عمره فقال له: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾ [النصر: ٣]

تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : ما صل النبي ﷺ صلاةً بعد أن نزلت عليه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾ [النصر: ١] إلا يقول فيها سبحانك ربنا وبحمدك اللهم أغفر لي" [متفق عليه]

وكان ﷺ من أعظم الناس استغفارا مع أن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وذلك لأن الاستغفار مقامٌ من مقامات العبودية للعزيز الغفار جل في علاه عن بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: إن كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مئة مرة يقول: ربِ أغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم" [أخرجه أبو داوود والترمذي وقال حسنٌ صحيحٌ غريب]

وإذا كانت الذنوب داءً فالاستغفار دوائها قال الله جَلَّ وَعَلَا : ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ٨٢﴾ [طه: ٨٢]

ووعد سبحانه المستغفرين بالمغفرة مهما كانت ذنوبهم ومهما كان تقصيرهم: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١١٠]

وفي حديث أنس قال ﷺ: قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: يا بن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء [أي السحب العالية] ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي" [أخرجه الترمذي وصححه الألباني]

عباد الله:

شرع الله عَزَّوَجَلَّ التوبة والاستغفار في خواتيم الأعمال فشرع في خاتمة الصلاة والحج وقيام الليل وأمر سبحانه رسوله ﷺ والمؤمنين بالاستغفار عقب توفيته عقب الأعمال الصالحة، ولقد حثنا الشرع الحنيف علىٰ الاستغفار وعدم الإصرار إذ لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار والاستغفار عبادةٌ ليس له وقتٌ من ليلٍ أو نهار، بل ينبغي علىٰ العبد إذا ما أحس بتقصيرٍ أو أرتكب محرمًا أن يستغفر مباشرةً في خلوةٍ وجلوة وأن ينشئ عبادةً ويتوب إلىٰ الله لا سيما عقيب الصلوات وسائر العبادات.

عن ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ إذا أنصرف من صلاته استغفر ثلاثًا يعني قال: أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله، وقال: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ذا الجلال والإكرام" [أخرجه مسلم]

وفي محكم التنزيل قال الله جَلَّوَعَلَا في صفات عباده المؤمنين: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: ١٧-١٨]

قال الحسن البصري: مدوا الصلاة إلىٰ السحر ثم جلسوا يستغفرون ربهم الله أكبر هؤلاء هم سلفنا فـ لله درهم يستغفرون عقيب الطاعات وفي زماننا اليوم إذا رأيت إنسانً يستغفر وإذا بالأبصار تشخص إليه وكأنه قد أرتكب ذنبًا كبيرا وما علموا أن الاستغفار درجةٌ من درجات العبودية، يقول الله جَلَّوَعَلَا في الحديث القدسي: يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفروني أغفر لكم" [أخرجه مسلم من حديث أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ]

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: من جلس في مجلسٍ فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غُفر له ما كان في مجلسه ذلك" [أخرجه الترمذي وصححه]

عباد الله:

عليك وعلي وعلىٰ كل مسلم أن يستغفر في كل حال فلا يزال العبد مستغفرًا تائبًا حتىٰ تُقبض روحه وهو علىٰ الاستغفار فرأيتم رجلًا يعمل الأعمال ثم ينظف ثوبه من وسخ درن أعماله فتجد ثيابه بيضاء نقية في كل حال فكذلك حال المستغفرين فأعلم أنه لا إله إلا الله وأستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وما من مسلمٍ يستغفر للمسلمين والمسلمات أي مع استغفاره لنفسه أولًا إلا كان له بكل نسمةٍ حسنة: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ٩﴾ [المائدة: ٩]

ولا ينبغي لنا أن نترك الاستغفار لأحد من المسلمين مهما كان حاله إلا المشرك فإنه لا يجوز الاستغفار له لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦﴾ [النساء: ١١٦]

وكذلك من عُلم نفاقه فلا ينبغي الاستغفار له لقوله تعالىٰ: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ﴾ [التوبة: ٨٠]

وفي آية التوبة يقول الله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٣﴾ [التوبة: ١١٣]

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: زار النبي ﷺ قبر أمه فبكىٰ وأبكىٰ من حوله فقال: استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب وأشهد أن لا إله إلا الله مقيل عثرات المذنبين وقابل توبة التائبين وأشهد أن محمد عبده ورسوله المبعوث رحمةً للعالمين صل الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه الغر الميامين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوىٰ واستمسكوا من الدين بالعروة الوثقىٰ.

أيها المؤمنون:

إن الاستغفار بالمنزلة العالية والمكانة السامية وله من الثمرات أطيبها ومن الآثار أعجبها فهو يجلب مغفرة رب العالمين ويستجلب الإمداد بالأموال والبنين ويجعل الله لأهله جناتٍ فيها أنواع الثمار ويخللها بالجاريات من الأنهار

قال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢﴾ [نوح: ١٠-١٢]

يا من تريد الولد أكثر من الاستغفار ويا من تريد المال المدرار أكثر من الاستغفار وفي الاستغفار أمانٌ من العذاب وأمانٌ من الهلاك سواءٌ كان العذاب خاصًا أو عاما: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝٣٣﴾ [الأنفال: ٣٣]

قال حبر الأمة بحر العلم ترجمان القرآن بن عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا : كان فيهم أمانان النبي ﷺ والاستغفار فذهب النبي ﷺ وبقي الاستغفار.

ومن لزم الاستغفار جعل الله القهار العزيز له من كل همٍ فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب ألا وإن أعظم ثمرات الاستغفار دخول الجنة يوم القيامة بجوار العزيز الغفار: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ

أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ [آل عمران: ١٣٥-١٣٦]

فلا يقنطن عبدٌ من رحمة الله مهما كان ذنبه وليلزم الاستغفار تُغفر خطاياه وتستر عيوبه.

عن أبي سعيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: إن الشيطان قال: وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم، وهذا قسمٌ من عدوك فلا تأمن، لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم قال الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني" [أخرجه أحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي]

أي عبد الله:

أنظر علىٰ ما تموت علىٰ الاستغفار أم علىٰ الإصرار فيا هناءة من مات علىٰ الاستغفار ويا خسارة من مات علىٰ الإصرار.

ربنا أغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار، اللهم أغفر للمسلمين والمسلمات، اللهم أغفر للمسلمين والمسلمات، اللهم أغفر للمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات إنك قريبٌ سميعٌ مجيب الدعوات، اللهم تقبل صيامنا وقيامنا يا رب العالمين وأجعله عندك مقبولًا مدخرًا إلىٰ يوم القيامة، اللهم أجعل أعمالنا في رضاك وأجعل ولايتنا في من خافك وأتقاك وفق

أمير البلاد وولي عهده لهداك، اللهم أجعل هذا البلد أمنًا مطمئنًا سخاءً رخاءً دار عدلٍ وإيمانٍ وأمنٍ وأمان وسائر بلاد المسلمين، اللهم تقبل منا إنك أنت السميع العليم وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.